

وَيُمْكِنُ إِثْبَاتُهَا بِالْعَقْلِ: فَإِنَّ النِّعْمَ الَّتِي تَتَرَى عَلَى الْعِبَادِ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ وَالنِّعْمَ الَّتِي تُصْرَفُ عَنْهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ؛ دَالَّةٌ عَلَى ثُبُوتِ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَدَلَالَتُهَا عَلَى ذَلِكَ أَبَيِّنُ وَأَجْلَى مِنْ دَلَالَةِ التَّخْصِيسِ عَلَى الْإِرَادَةِ لِظُهُورِ ذَلِكَ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِخِلَافِ دَلَالَةِ التَّخْصِيسِ عَلَى الْإِرَادَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَظْهَرُ إِلَّا لِأَفْرَادٍ مِنَ النَّاسِ.

الآن لو سألتَ عامياً؛ هل اللهُ تعالى يُريدُ؟ لقال: نعم اللهُ يُريدُ. بأيِّ شيءٍ تُثبتُ الإرادةَ من الناحية العقلية؟ إيش يقول؟ يقول لأن اللهُ يُريدُ في القرآن. تقوله: هات دليل عقلي هو ما يعرف إلا هذا. لكن لو تأتي إلى عامي وتقول هل اللهُ يرحم؟ سيقول: نعم طيب وايش الدليل؟ هات لي دليل عقلي أوحسي على الرحمة؟ طيب ماتشوف ها النعم. الآن اللهُ يُنزلُ الغيثَ ويُنبِثُ النباتَ ويُجلبُ الأرزاقَ إيش دليلُ على هذا؟ على الرحمة إذن دلالة العقل على ثبوت صفة الرحمة لله أبينُّ وأجلى من دلالاته على ثبوت الإرادة لله... وهذا لا يمكن أن يُنكره إلا مُكابِرٌ والمكابِر لا فائدة من مناظرته؛ لكن الإنسان غير المكابر لا بد أن يقر ويعترف بثبوت الرحمة لله وأن العقل دالٌّ على ذلك.

طيب اندفاعُ النِّعْمِ؟ لو أن رجلاً أُصيبَ بِحَادِثٍ: صَدَمَ أَوْ انْقِلَابَ وَسَلِمَ مِنْ هَذَا الْحَادِثِ سَيَتَحَدَّثُ وَيَقُولُ حَصَلَ حَادِثٌ عَظِيمٌ وَلَكِنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنَا سَلِمْنَا أَوْ نَجَوْنَا هَلْ سَيَقُولُ هَكَذَا؟ نَعَمْ. إِذَنْ اسْتَدَلَّ بِانْدِفَاعِ النِّعْمِ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. أَمَا نَفِيهَا؛ أَيِ الرَّحْمَةِ بِحُجَّةِ أَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ اللَّيْنَ وَالرِّقَّةَ فَجَوَابُهُ: أَنَّ هَذِهِ الْحُجَّةَ لَوْ كَانَتْ مُسْتَقِيمَةً؛ انْتَبِهْ لِكَلِمَةِ لَوْ كَانَتْ مُسْتَقِيمَةً لِأَمْكِنُ نَفْيُ الْإِرَادَةِ بِمَثَلِهَا أَيِّ بِمَثَلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ.

فَيُقَالُ: الْإِرَادَةُ: مَيْلُ الْمُرِيدِ إِلَى مَا يَرْجُو بِهِ حَصُولَ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعَ مَضْرَةٍ وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ الْحَاجَةَ وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ.

إذا قالوا: إن الرحمة تستلزم الرقة واللين وما أشبه ذلك. أولاً: نسأل هل هذه الصفات ممتعة على الله-عزوجل-؟ ليس مُستلزماً أن يكون الله عزوجل- ليناً ورقيقاً لمن يستحق الرحمة. ولا مانع.

وعلى فرض أن ذلك ممتنع فإننا نقول: يلزمكم في الإرادة مثل ما يلزمكم في الرحمة. الإرادة أن يميل الإنسان إلى شيء؛ وإيش يرجو منه؟ حصول منفعة أو دفع مضرة. لا يمكن أن يريد الإنسان شيئاً لا يرجو منفعته ولا دفع مضرته إلا رجلاً ليس له عقل.

إذن إذا أثبتتم الإرادة لزم من إثباتها أن يكون الله-عزوجل- يميل إلى ما يرجو منفعته أو دفع مضرته والله-عزوجل- لا ينتفع بشيء أو لا يحتاج إلى انتفاع بشيء ولا تلحقه المضرة حتى يحتاج إلى ما يدفع الضرر عنه فما يلزمه في الرحمة يلزمه في الإرادة.

فإن أجابوا بأن هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله في الرحمة لأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق.

هنا قلنا الرحمة المستلزمة للنقص ولم نقل الرحمة المستلزمة للين والرقة لأنه كما أشرنا آنفاً قد نُسِّمُ بأن اللين والرقة في موضعها من صفات الكمال؛ وحينئذٍ لا يمتنعان على الله-عزوجل- فنقول لهم: إن الرحمة المستلزمة للنقص وليكن النقص كما زعمتم اللين والرقة هي رحمة المخلوق؛ أما رحمة الخالق فإنها رحمة ثابتة له مع كماله-سبحانه وتعالى-. وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل سواء كان تعطيلاً عاماً أم خاصاً وبه عُلِمَ أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك؛ لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية.

الغريب أن الأشاعرة يدعون أنه لم يزد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة؛ ولا أهل الكفر

من الفلاسفة وغيرهم؛ إلا الأشاعرة. ويقولون: إن السلف لم ينفعوا في الرد على المعتزلة؛ أتدرون لماذا؟ لأنهم يعتقدون أن مذهب السلف هو التفويض. ومعلومٌ أننا إذا قلنا إن مذهب السلف هو التفويض فإن ذلك لا يُجدي ولا يرد بدع المبتدع؛ لأن المبتدع إيش يقول للمفوض؟ يقول: إنك لم تُثبت المعنى حتى تحتاج به عليّ. أنت رجلٌ أميٌّ لا تعرف الكتاب إلا أمانياً. لأن الأشاعرة يقولون: إن مذهب السلف هو التفويض؛ تسأل السلفي عن قوله تعالى: "ثم استوى على العرش" [الأعراف:54] مامعناها؟

فيقول: لا أدري أفوض معناها إلى الله. تسأل الأشعري عن معناها فيقول: معناها استولى. إذن أيها أعلم الذي يقول لا أدري أو الذي يقول لها معنى وهو الاستيلاء؟ الثاني لا شك أنه أعلم. فمن أجل ذلك قالوا: إن السلف لم ينفعوا في الرد على الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم من أئمة البدع والكفر وأن الذي ردهم هم الأشاعرة لأنهم قالوا: نحنُ نُثبت المعنى؛ ومعناه الاستيلاء؛ وفرقٌ بين مَنْ يُثبت معنىً ومَنْ كان أمياً لا يعرف من الكتاب إلا القراءة فقط. وهذا قرأناه فيما كُتِبَ وحتى فيما نُشر في الصحف الآن ممن تكلموا عن الأشاعرة؛

قالوا: الأشاعرة من أهل السنة؛ بل هم الذين نفعوا في دفع البدع؛ أما السلفيون فإنهم لم ينفعوا في رد البدع لأنهم على زعمهم؛ مُفَوِّضَةٌ يُفَوِّضُونَ المعنى ويقولون: لا ندري مامعنى هذه الآيات أو الأحاديث التي في صفات الله عز وجل.

المؤلف رد عليهم

المتن

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية وذلك من وجهين:
1-أحدهما: أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا سلف الأمة وأئمتها، والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة.

الشرح

هذه واحدة.

وهذه قاعدة مفيدة في الأمور العلمية والأمور العملية. البدعة لا يمكن أن ندفعها ببدعةٍ أبداً؛ سواء كانت علمية أو عملية.

مثال العلمية: هنا؛ الأشاعرة قالوا: إن الصفات التي أثبتناها وهي السبع؛ دلٌّ عليها العقل فيجب إثباتها. المعتزلة ماذا يقولون في هذه الصفات؟ لا تثبتُها لأن المعتزلة لا يثبتون الصفات...